دراسة في أمهات المصادر التاريخية الأندلسية في القرن الخامس الهجري

(مؤلفات أبي مروان القرطبي و تأثيراته على المصادر المغربية و المشرقية أنموذجا"

د. محمد عيساوي

aissaouim17@gmail.com

جامعة محمد بوضياف المسيلة

الملخص باللغة العربية :

تعالج الدراسة مناهج مصادر التاريخية التي عرفتها الأندلس خلال القرن الخامس الهجري و مناهجها وملامحها الإبداعية ، و من بينها مؤلفات أبي مروان القرطبي، وخصائصها المنهجية، و تأثيراتها على المؤرخين المغاربة و المشارقة .

الكلمات المفتاحية باللغة العربية :

المصادر التاريخية الأندلسية ، الأندلس ، القرن الخامس الهجري ، المؤرخين الأندلسيين و المغاربة

الملخص باللغة الأجنبية :

The study deals with the methods of historical sources known to Andalusia during the fifth century AH and its curricula and creative features, including the writings of Abu Marwan al-Qurtubi, and its methodological characteristics, and its impact on Moroccan historians and the ancient

تمهيد :

يعتبر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)أزهى العصور الثقافية والعلمية في الأندلس وذلك بما أفرزه هذا العصر من الأعداد الهائلة من العلماء والمفكرين والأدباء والكُتَّاب الذين شاركوا في ميادين العلم المختلفة، النقلية والتطبيقية على حد سواء. ومن بين تلك العلوم النقلية علم التاريخ الذي برز فيه المؤرخ أبو مروان بان حيان القرطبي، حيث اعتبره عدد من الباحثين في طلائع المؤرخين الأندلسيين .فمن هو المؤرخ أبو مروان بن حيان القرطبي؟ وما هي مؤلفاته التاريخية؟ وما الجانب الإبداعي في تلك

المؤلفات؟ وما هي أسس المنهج التاريخي الذي اتبعه فيها؟ وما أثر منهج التدوين التاريخي لابن حيان القرطبي على المصادر التاريخية الإسلامية في المشرق والغرب خلال العصر الوسيط ؟

أولا : نبذة موجزة عن سيرة أبي مروان القرطبي :

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان ، ولد بمدينة قرطبة سنة 377 هـ / 987 م كان أبوه خَلَف مِن كُتَّاب المنصور محمد بن أبي عامر، وقد تتلمذ على أبيه خلف وعلى أحمد بن عبد العزيز بن الحباب النَّحوي، والأديب صاعد البغدادي، وعمر بن نبيل المحدث، والمؤرخ الراوية أبي الوليد بن الفرضي، وعلى أيدي هؤلاء تفقه وأتقن الأدب. ثم شغل وظيفة صاحب الشرطة، أو صاحب المدينة في مسقط رأسه قرطبة. وقد عمَّر ابن حيان طويلا حيث كانت وفاته في سنة 469 هـ/ 1576 م، ودفن بمقبرة الربض بالعاصمة الأندلسية قرطبة.[1]

وعاش ابن حيان القرطبي في الفترة مابين(377هـ_469هـ)(987 م_1076م) وهي فترة عامرة بالحوادث السياسية حيث شهدت سيطرة الدولة العامرية ثم عصر الفتنة وسقوط الخلافة الأموية ، وقيام دول الطوائف[2]،وتفاقم الخطر الصليبي، وتعاظم دور اليهود، واندلاع النزاعات العرقية والطائفية. وهي حوادث أثرت في خبرته التاريخية بلا شك وتركت آثارا واضحة في ثنايا أعماله التاريخية، حيث رصد وبدقة مرحلة الفتن والاضطرابات المتتالية في بلاد الأندلس فَصَوَّر الوضع العام في الأندلس[3]،ومن الأمثلة على ذلك أنه قال أن الرعية: "عدموا الراعي العنوف منذ حقب، فنبذوا السلاح، و كلفوا بالترقيح، ونافسوا في النشب، وعطَّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الآرائك مقعد الجبابرة، وتولى الأمر جماعة من الأغمار، كانوا عصابة يحلو بها الفتاء، ويذهب بها العُجب."[4]

ويعتبر ابن حيان من أعظم المؤرخين الذين أنجبتهم بلاد الأندلس، بل والعالم الإسلامي بعامة، فهو في طليعتهم من حيث البيان وبلاغة الأسلوب والمجاهرة في الرأي،

والتحليل للحوادث، وصدق الإيراد.[5] وقد لقب بـ (شيخ الأدب والمؤرخين في الأندلس) [6] .

كما أن ابن حيَّان قد تخصص في التأريخ لبلده وحضارتها وسير ملوكها ورجالاتها، بحيث غطى هذا التاريخ من الفتح الإسلامي وحتى قُبيل وفاته سنة469 هـ/1576م،وذلك بما صنَّفه من تآليف تشهد بنبوغه وتفوقه في الميدان التاريخي، وقد أكَّد على هذا العلامة ابن خلدون(ت:808هـ/1282م)في افتتاحية مقدمته الشهيرة عندما ذكر المؤرخين ومنها ابن حيَّان حيث قال:" وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة الشأو البعيد، فقيَّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته ومصره، كما فعل ابن حيَّان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها."[7]

ولعل شهرة ابن حيان التاريخية وكثرة كتاباته التي سجَّل فيها أحداث بلده ووقائعها دون غيره من الأقاليم الأخرى، هو الذي أهَّله لأن يستحق لقب" شيخ مؤرخي الأندلس"، دون منازع، وذلك أن هذه المكانة العلمية التي حظي بها في ميدان الكتابة التاريخية قد أكَّد عليها عدد من المؤرخين والعلماء الذي شهدوا له باستحقاقها ، ومن هؤلاء تلميذه الشهير أبو علي الغساني الجياني (ت:498 هـ/ 1104م)[8] الذي وصفه بقوله: "كان ابن حيان عالي السن، قوي المعرفة، مستبحرا في الآداب، بارعا فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، و أحسنهم نظما له."[9]وهكذا فإن هذه الشهادة التي وصف بها العالم الغساني شيخه ابن حيان القرطبي يمكن أن نستخلص منها ما يلي : [10]

- بيَّنت المستوى العلمي الرفيع الذي تبوّأه ابن حيان في المجال التاريخي و الأدبي على السواء.
- تثبت تخصص ابن حيان في التأريخ لبلده الأندلس .
- كما تظهر أيضا أن أبا علي الغساني قد كانت له اهتمامات تاريخية إلى

جانب تضلعه في علم الحديث، بحيث استطاع أن يقارن بين المصنفات التاريخية التي ألفت في تاريخ الأندلس، حتى تبين له أن مؤلفات شيخه ابن حيان تمثل أوج ما وصل إليه التدوين التاريخي في الأندلس من حيث الدقة والضبط والإتقان والفصاحة و قوة الأسلوب وبلاغته. بالإضافة إلى ذلك أن هذه الشهادة التي جاءت من أحد تلامذة ابن حيان النُّجَّب، ما هي إلا دلالة على تأثير منهجه التاريخي في طلبته و معاصريه. أما المؤرخ والمحدِّث أبو عبد الله محمد الحميدي(ت:488 هـ/1095م)[11]والذي كان معاصرا لابن حيان فقد قال عنه:" له حظ وافر من العلم و البيان وصدق الإيراد."[12]

ثانيا : مؤلفات المؤرخ أبو مروان بن حيان القرطبي : يمكن أن نبين أهم مؤلفاته التاريخية فيما يلي :

-1- المقتبس من أنباء أهل الأندلس :

يعتبر من أشمل الكتب التي أرَّخت للأندلس خلال القرون الثلاثة من تاريخ الإسلام فيها، [13] والجدير بالذكر أنه ليس إجماع على الاسم الكامل النهائي للكتاب؛ فهناك من يرى أن عنوان الكتاب هو "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس"، بينما يرى فريق ثان أن عنوان الكتاب هو "المقتبس في أخبار بلد الأندلس"، أما المؤرخ ابن الأبَّار (ت:658هـ/1259م) فإنه يذكر عنوانا آخر و هو"المقتبس من أنباء أهل الأندلس"[14]،ولقد أرَّخ فيه صاحبه للعدوتين تأريخا شاملا مؤسسا على الاهتمام بالأخبار بالدرجة الأولى خاصة في كتابه المقتبس.[15]

-2- المتين :

يُعَدُّ الكتاب حصيلة متابعة، وحصاد معايشة، سجّل فيه ابن حيان كل شؤون الأندلس السياسية، والحربية والحزبية والاجتماعية، والثقافية، والأدبية، مع ترجمة وافية للمعاصرين له من العلماء والحكام والأدباء والوزراء، وامتزج كل هذا بمقطوعات من النثر، وقصائد من الشعر. وتقع مادته العلمية في ستين مجلدة.[16]وللأسف فُقِد هذا

الكتاب، إلا أن المؤرخين اللاحقين سجلوا عنه اقتباسات كثيرة في كتبهم،ومِن بينهم المؤرخ ابن بسَّام الشنتيريي(ت54هـ/1147م)في كتابه "الذخيرة"[17]،والجدير بالذكر أن هناك خلاف بين المؤرخين حول أسبقية أحد المصدرين ــ السالفي الذكر ــ على الآخر، وبعبارة أخرى أيهما يمثل فترة الشباب ؟ و أيهما يمثل فترة الشيخوخة و النضج ؟ و لقد رجّح الباحث أنور زناتي أن كتاب المقتبس لم يكن من نتائج شباب ابن حيان بل يعتبر عمل مؤرخ ناضج مكتمل .[18]

- 3 - أخبار الدولة العامرية :

و هو كتاب مفقود، و الدليل على تأليف ابن حيان لهذا الكتاب أن المؤرخ ابن الأبَّار أورد منه فوائد في كتابه "الحلة السِّيراء"[19]وكذلك المؤرخ لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ/1374م) في كتابه "أعمال الأعلام"[20]

- 4 - البطشة الكبرى

يتناول هذا الكتاب استيلاء المعتمد بن عباد على قرطبة، وبطشه ببني جهور وحكامها ونفيه لهم(462هـ/1070م)وقد أشار إلى هذا الكتاب المؤرخ ابن بسَّام الشنتيريي في كتابه الذخيرة . [21]كما أشاد ابن الخطيب بأسلوب ابن حيان: "وكلامه فيه من لباب بلاغته." [22]

ثالثا : الجانب الإبداعي في مؤلفات ابن حيان القرطبي التاريخية :

لعلَّ ما يبرز الجانب الإبداعي في الكتابة التاريخية خلال عصر الطوائف بالأندلس، هو تخصص بعض المؤرخين الأندلسيين الكبار في الميدان التاريخي دون غيره من العلوم الأخرى، وهذا ما يمثله بحق شيخ مؤرخي الأندلس أبي مروان بن حيان القرطبي، الذي تخصص في التدوين التاريخي وشغف به منذ نعومة أظفاره، فتخصص في هذا العلم من ناحية، وتخصص في التأريخ لبلده و مجتمعه الأندلسي بجوانبه المختلفة من ناحية أخرى . [23]

وعلى هذا الأساس فإنه على الرغم من كثرة المؤرخين الذين ظهروا في عصر الطوائف بالأندلس كابن حزم(ت456هـ/1063م)[24]،والحافظ أبو عمربن عبد البر (ت:463هـ/1070م)[25] ،والحميدي(ت:488 هـ/1095م)،وصاعد الطليطلي (ت:462هـ/1069م)[26]، وغيرهم، فإن هؤلاء قد جمعوا بين علم التاريخ والعلوم الأخرى، أما ابن حيان فقد انفرد – دونهم – بتخصصه في الكتابة التاريخية وحدها، وهذه الخاصية التي تجسدت عنده تُعَدُّ في الوقت نفسه ميزة من ميزات كتابة التاريخ في الأندلس وسمة من سماتها البارزة[27]؛ونتيجة لذلك فقد آتى تخصص ابن حيَّان في التأريخ أُكله، وذلك في غزارة إنتاجه التاريخي، الذي تمثل في كثرة تآليفه وضخامتها، والتي أسهم بها في النهضة العلمية والثقافية للأندلس في عصره، وهذا ما جعل الشقندي يفخر به في رسالته للدفاع عن الأندلس في قوله :(وهل لكم في علم التاريخ كابن حيان صاحب "المتين"و"المقتبس")[28]

رابعا : ركائز البحث التاريخي عند أبي مروان بن حيان القرطبي :

يرتكز منهج التدوين التاريخي عند ابن حيان القرطبي على أسس كثيرة يمكن أن نوجزها فيما يلي:

1- المنهج التحليلي (التفسيري) في التأريخ :

إن التمكن المعرفي والدِّراية التاريخية الواسعة لعدد غير قليل من مؤرخي عصر الطوائف ، فضلا عن إلمامهم بطرائق و مناهج من سبقهم من المؤرخين سواء في الأندلس أم في المشرق جعلهم أكثر دُربة في تحليل الحوادث والوقائع التاريخية وتعليل أسبابها واستنباط نتائجها . [29]

ولذلك فنحن نشاهد في كتابات ابن حيَّان بروز الناحية الفلسفية في تفسيره لبعض الظواهر والحوادث التي أرَّخ لها، وهذا ما جعل بعض الباحثين المعاصرين يصف شيخ مؤرخي الأندلس أبا مروان بن حيان بأنه: "كان هاضما لفلسفة التاريخ وليس مؤرخا

وحسب، فهو يقدم الأسباب وينتهي إلى النتائج، وقد فرض شخصيته المجَرِّبة وحاسته المبصرة، واستنباءاته البديهية على قلم تملَّك أسباب التعبير الدقيق والأسلوب المتين."[30]

وبناءا على ذلك أضحى أبو مروان بن حيان القرطبي "مُفَسِّرا للتاريخ"[31]حيث قام بتعليل وتفسير الحوادث، وقد استند في تفسيره على عدة محاور؛ ومنها التعويل على العقل والاستقراء الواعي للحوادث، وكذلك على البعد المذهبي، والتفسير الاثني، والبعد الأخلاقي، والبعد الديني . [32]

2- الاهتمام بالمعطيات الإحصائية في التاريخ

يعتبر استخدام المنهج الإحصائي أحد ملامح منهج ابن حيان التاريخي، حيث قام باستخدام الإحصائيات البالغة الدقة في حصر وتحديد مُدَد بعض الدول أو فترات حكم الأمراء والخلفاء، أو تحديد سني أعمار الأعلام الذين ترجموا لهم. وبالنسبة لابن حيان، فإنه أيضا اجتهد كثيرا في ضبط وتحديد سنوات الكثير من الدول ومُددهم، أو أعمار الأعلام الذين أرَّخ لهم .[33]

ومن الشواهد على ذلك ترجمته للمعتضد بن عباد صاحب إشبيلية التي يقول فيها: "وكانت سن عباد سبعا وخمسين سنة و ثلاثة شهور و تسعة أيام ، تأقيتا من مولده يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة سبع و أربعمائة إلى وفاته يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الآخر سنة ثلاث و ثلاثين _ثمان و عشرين سنة و يومان ." [34]

وهنا نلحظ أن ابن حيان قد جمع في العملية الإحصائية بين تحديد المدة الزمنية التي عاشها المعتضد بن عباد تحديدا دقيقا بالسنين و الأيام ، و بين حصر المدة التي استغرقها في حكم إمارة اشبيلية على عهد الطوائف باليوم و السنة أيضا[35]كما قام ابن حيان كذلك في كتابه "أخبار القضاة" بتحديد مُدَد بعضهم في منصب القضاء إحصاءً دقيقا باليوم، ومن هؤلاء قاضي الجماعة بقرطبة أبو المطرف عبد الرحمان بن بشر الذي قال فيه: "كانت مدة عمل ابن بشر في القضاء اثنتي عشرة سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام."[36]

ومن خلال ما سبق بيانه نلحظ أن هذا الفن الإحصائي الدقيق لتواريخ الدول والأعلام يعد إحدى ميزات الكتابة التاريخية في عصر الطوائف، فضلا عن أنه مظهر من مظاهر تألقها و تطورها، ولاسيما عند المؤرخ ابن حيان القرطبي محل البحث و الدراسة [37].

3- المقارنات بين الحوادث والشخصيات الأندلسية والمشرقية

مِن التقنيات الفنية التي استخدمها مؤرخو عصر الطوائف في الكتابة التاريخية، هو عقدهم لتلك المقارنات العجيبة بين بعض الحوادث والوقائع أو الشخصيات الأندلسية وما يقابلها أو يناظرها في المشرق الإسلامي و بالرغم من أن بعض مؤرخي عصر الخلافة بالأندلس و بخاصة أحمد بن محمد الرازي قد سبق هؤلاء المؤرخين في هذه الناحية ، إلا أن مقارناته تلك لم ترق إلى مستوى ما أتى به منها مؤرخو عصر الطوائف و على الأخص ابن حزم و ابن حيان اللذين قدما نماذج من ذلك في غاية الدقة و الإتقان ، فضلا عن أنها لم تتوفر عند غيرهما من المؤرخين الأندلسيين الآخرين.

ومن المفارقات الطريفة في هذا الشأن هو التقاء كل من ابن حزم وابن حيان في واحدة من هذه المقارنات الأندلسية المشرقية، وذلك عندما قارن كل منهما بين المستكفي بالله الأندلسي وسميِّه المستكفي العباسي، وكأنهما اتفقا على ذلك.[38]كما قارن ابن حيَّان من الناحية السياسية بين كل من المعتضد بن عبَّاد أمير إشبيلية وأحمد بن المتوكل العباسي عندما قال: "وعشي الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى و ستين طرق قرطبة نعي المعتضد عباد ....و كان اعتمد سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل أحد أشد الخلفاء العباسيين الذي ضم نشر المملكة بالمشرق وسطا ..وبفقده انهدمت الدولة ..." [39]

4- النقد التاريخي عند المؤرخ أبي مروان بن حيان القرطبي

إذا كان بعض مؤرخي عصر الخلافة الأموية بالأندلس قد نهجوا المنهج النقدي في الكتابة التاريخية كما هو الحال عند المؤرخ أحمد بن محمد الرازي إلا أن ذلك كان محدودا و مُوجَّها في أغلبه ضد الثوار من أهل الأندلس المناوئين للحكم الأموي في قرطبة .

لكن الأمر قد تغيَّر تماما في عصر الطوائف، بحيث أصبح النقد التاريخي هو ديدن معظم المؤرخين الذين ظهروا فيه، وبشكل أخص عند المؤرخ ابن حيان الذي اجتهد في تطبيق هذا المنهج النقدي بأوسع صوره بحيث انتقد بعضا من حكام الأندلس وساستها، فضلا عن فقهائها وقضاتها وعلمائها.(40)

5- بلاغة أسلوب الكتابة عند المؤرخ ابن حيان القرطبي :

يتسم أسلوب ابن حيان القرطبي بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق، وقوة التدليل والتفسير والتعليل، ويتصف أسلوبه كذلك بترابط الفكرة، واختيار المفردات والتراكيب العربية السليمة، وتخلص من قيود السجع والمحسنات البديعية المتكلفة، وتدلنا كتاباته التاريخية على أدبه الرفيع وأنه صاحب أسلوب سلس معبر سهل العبارة وبُعد عن التكلف اللفظي . (41)

والسبب الذي أعطى ابن حيان هذه المتانة والجزالة بشكل أكثر هو استخدامه للتعبير القرآني، وإكثاره من الألفاظ والاقتباسات القرآنية في كتابته التاريخية، وهو ما يؤكد حفظه للقرآن الكريم ودرايته ببعض علوم الشريعة، فضلا عن تمكنه المعرفي من علوم اللغة والنحو والأدب والبلاغة.

6- تحرِّي الدقة و التوثيق التاريخي :

اتَّسَمَ منهج ابن حيان القرطبي في مؤلفاته التاريخية بالدقة المتناهية في تحديد التواريخ بالأيام والشهور والسنين وضبطها ضبطا محكما، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن حيان في إحدى تراجمه ــ ابن الصناع ــ:"وكان مشهورا بالفضل، م ُقَدَّما في حملة القرآن، مبرز العدالة، توفي صبيحة يوم الجمعة يوم تاسوعاء من المحرم سنة ثمان وأربعين أيام اشتداد القحط، فمضى مستورا، وأتبعه الناس ثناء حسنا جميلا، وأجمعوا على أنه آخر من

بقي بقرطبة ممن قرأ على الأنطاكي، وكان مولده سنة سبع وخمس وثلاثمائة، وكانت سنه على هذا الإحصاء إحدى وتسعين سنة."[42]

7- التأريخ للعلوم في الأندلس :

أولى ابن حيان في مؤلفاته التاريخية _لاسيما في كتابيه" المقتبس "و"المتين"_ اهتماما بالحياة العلمية السائدة في الأندلس، وهو ما جعل نصوصه التاريخية تحفل بمادة غزيرة جدا عن سير العلماء الأندلسيين، سواء المتقدمين أو المعاصرين له ، و إلى جانب الكتابين السابقين، اشتمل كتاب ابن حيان "أخبار القضاة" على تراجم العديد من الأعلام من الفقهاء خاصة .[43]

8- و آخرا : الاهتمام بإسهامات المرأة الأندلسية في الحياة العلمية :

كانت المرأة تمثل صورة من صور الحياة في المجتمع الأندلسي، وركنا من أركانه، حيث بذلت جهودا مضنية في الميدان العلمي و الأدبي على حدٍّ سواء، مما دفع بالمؤرخ ابن حيان القرطبي وغيره من المؤرخين الأندلسيين _من ذوي الاهتمام بفن التراجم أن يخصصوا _ قِسما من تراجمهم _ للتعريف بإسهامات المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية و الفكرية السائدة آنذاك . [44]

ومن النساء اللاتي ترجم لهن ابن حيان عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية حيث قال عنها: "لم يكن في حرائر الأندلس في زمانها من يعادلها فهما وعلما وأدبا وشعرا وفصاحة وعِفَّة وجزالة وحصافة، و كانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجتها، فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا تُرَدُّ شفاعتها، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتُعنى بالعلم، ولها خزانة كبيرة حسنة، ولها غنى وثروة تعينها على المروءة، وماتت عذراء لم تُنكح قط."[45]

خامسا: أثر منهج التدوين التاريخي لابن حيان القرطبي على المصادر التاريخية الإسلامية

انعكس تأثير المادة العلمية التي احتوتها مؤلفات ابن حيان القرطبي التاريخية على مصادر التاريخ الإسلامي على مظهرين، أحدهما تجلى في مصادر الغرب الإسلامي ، و

الآخر تبيَّن على مستوى المؤلفات والمصنفات التاريخية التي تم تأليفها في المشرق الإسلامي، و يمكن بيان ذلك فيما يلي :

1- أثر المؤرخ ابن حيان القرطبي في مؤلفات المؤرخين الأندلسيين و المغاربة :

توضح مصنفات الكثير من المؤرخين الأندلسيين والمغاربة ممن جاؤوا بعد المؤرخ أبو مروان بن حيان القرطبي، ملامح تأثرهم بهذا المؤرخ الكبير، ومَرَدُّ ذلك مستواه العلمي القيم الذي بلغه في مجال التدوين التاريخي، ويتفاوت مقدار التأثير من مؤرخ لآخر؛ فالفريق الأول تأثر بمنهجية ابن حيان وطبَّقها في مؤلفاته ومصنفاته التاريخية، والفريق الثاني اكتفى بالنقل عما توفر لدى ابن حيان من مادة علمية. و فريق آخر جمع بين الجانبين؛ أي قام باقتباس المادة العلمية ، وتأثر بالمنهج .

و من بين النماذج على الفريق الأول؛ نجد المؤرخ أحمد بن عميرة الضبي(ت599 هـ/1202م) [46] والذي استقى جزءا من مادته التاريخية مِن كتب ابن حيان القرطبي وضمّنها كتابه "بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس"[47]،وكذلك المؤرخ ابن سعيد المغربي (ت685 هـ/1259م)الذي نقل عنه في كتابه المغرب في حلى المغرب [48].

أما بالنسبة للشواهد التي تجسد التأثر بابن حيان القرطبي في المنهج و المحتوى ؛ نرى الكثير منهم على سبيل المثال: المؤرخ ابن بسام الشنتريني (ت:542 هـ/1147 م)[49]؛والذي يعد من أكثر المؤرخين نقلا و اقتباسا في كتاب الذخيرة عن المؤرخ ابن حيان من مصنفه التاريخي " المتين ".وكذلك المؤرخ أبو القاسم بن بشكوال (ت : 578 هـ / 1182 م) [50]، و المؤرخ الناقد ابن الأبَّار البلنسي(ت : 658 هـ /1259 م) الذي احتفظ بالكثير من التراث التاريخي المفقود لكثير من مؤرخي عصر الطوائف و خاصة ما كان للمؤرخ ابن حيان ضَمَّن تآليفه التاريخية و بخاصة في "التكملة" و "الحلة السيراء "و"إعتاب الكتاب".[51]كما تأثر كذلك لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ / 1374 م) و من الأشياء التي اكتسبها الخطيب في نقوله هو التزامه الناحية الموضوعية عند تطرقه لتاريخ الأندلس في عهد الطوائف وكذلك طلاوة الأسلوب وبلاغته، وتأثير

القرآن الكريم في ألفاظه، أضف إلى أنه أكثر من نقل عنه في كتابيه القيمين(أعمال الأعلام) و(الإحاطة) .[52]

كما لا ننسى القاضي عياض بن موسى السبتي (ت :544 هـ / 1149 م) الذين تأثروا بابن حيان في مجال المنهج النقدي التاريخي من خلال ما كتبه القاضي عياض في "ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك "[53]. وكذلك المؤرخ ابن خلدون (ت : 808 هـ / 1405 م)و الذي أشاد بمكانة ابن حيان القرطبي في مقدمته الشهيرة . [54]

وتزخر موسوعة أحمد المقري التلمساني (ت:1041هـ /1631 م) الأدبية التاريخية بمادة تاريخية " نفح الطيب"[55]بمادة تاريخية مهمة من "المقتبس"و"الدولة العامرية"و"المتين" ولم يكتف المقري بالنقل فحسب، بل راجع كثيرا من الروايات التاريخية عبر الاحتكام إلى المنهج النقدي الذي احتكم إليه ابن حيان القرطبي .[56]

2- مجالات التأثير التاريخي لمؤلفات ابن حيان القرطبي على المصادر التاريخية المشرقية

امتد تأثير مؤلفات المؤرخ ابن حيان القرطبي التاريخية إلى المصادر التاريخية المشرقية ، و قد تجلَّى ذلك في اتخاذه موردا رئيسا عند عدد من المؤرخين المشارقة؛ ومن بينهم المؤرخ الجغرافي ياقوت الحموي(ت:626هـ/1228م)،حيث نقل في كتابه "معجم الأدباء" عن ابن حيان[57]،والحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي(ت:748 هـ/ 1347م)ونقل في مصدره "سير أعلام النبلاء " بنصوص تاريخية من كتب ابن حيان و منها كتاب المتين .[58]

خاتمة :

- شكلت المادة التاريخية التي ضمَّنها ابن حيان القرطبي في مؤلفاته موردا رئيسا لمصادر المغاربة و الأندلسيين، ولم يتوقف الأمر عند هذا المجال فقط، بل امتد تأثيرها إلى مشاهير المؤرخين في المشرق الإسلامي .

_ تعتبر التقنيات المنهجية التاريخية التي اتبعها المؤرخ ابن حيان القرطبي مؤلفاته التاريخية أحد أوجه التأثير المهمة في مصادر الغرب الإسلامي عامة ،و بوجه أخص كتب التراجم .

– قدمت لنا مؤلفات ابن حيان القرطبي صفحات تاريخية مضيئة و نادرة من دور المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية و الفكرية .

– تعتبر الرصانة، والجزالة، والبلاغة سمات رئيسة في أسلوب ابن حيان القرطبي في كتابته التاريخية ،حيث كان للقرآن الكريم النصيب الأوفر في تلك السمات و الملامح ،فانعكس تأثيرها على شريحة واسعة من المؤرخين المغاربة و المشارقة .

– أسهم كثير من المؤرخين الأندلسيين في الاحتفاظ بعدد من التراث التاريخي الذي يعتبر في عداد المفقود لابن حيان القرطبي عبر آلية النقل و الاقتباس ، مما كان له بالغ الأثر في الدراسات التاريخية المعاصرة .

([1]) _ الحميدي أبو عبد الله محمد: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، الطبعة الثانية،1989 م،ج01،ص312؛ابن بشكوال أبو القاسم خلف: كتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية،1989 م،ج01،ص247.

([2]) _عبد الواحد ذي نون طه: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،2004،ص197-215 _248 .

([3]) _ زناتي أنور محمد: ابن حيان القرطبي مؤرخا، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ، 2011 م ، ص 34- 48 .

([4]) _الترقيح: هو الكسب والمتاجرة، أ ما الفتاء فهو حداثة السن .أنظر للمزيد: ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ،1998 م،ج 01، ص 29.ج03 ، 554 ،555 .

([5]) _ الطيبي أمين: دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس ، الدار العربية للكتاب،ليبيا،تونس،1997م، ج02 ، ص 56 .

([6]) – ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ، مصر ، 1955 م ،ج1 ،ص 117 .

([7]) ـ ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1993 م،ص06 .

([8])–هو شيخ الأندلس في وقته وصاحب رحلتهم، وأضبط الناس لكتاب، وأتقنهم لرواية، مع الحظ الوافر من الأدب والنسب، والمعرفة بأسماء الرجال وأحد جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين، ومن أشهر كتبه: تقييد المهمل و تمييز المشكل. عياض أبو الفضل عياض بن موسى: الغنية(فهرست شيوخ القاضي عياض)،تحقيق محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب،ليبيا–تونس،1978م،ص201 ؛ عياض أبو الفضل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات دار الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط،المغرب،د.ت،ج08،ص 191 ، 192 .

([9]) ـ ابن بشكوال: المصدر السابق،ج01،ص247 .

([10])ـشعيب عبد الواحد :الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى،2014م، ص 248 ، 249 .

([11]) ـكان إماما في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته، محققا في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحرا في علم الأدب والعربية، فضلا عن درايته بعلم التاريخ. وقد صنف الحميدي عددا من التآليف منها(الجمع بين الصحيحين البخاري و مسلم) (الذهب المسبوك في وعظ الملوك)وله في التاريخ (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس)أنظر: ابن بشكوال: المصدر السابق ،ج01 ، ص 24 .

([12]) ـ الحميدي أبو عبد الله محمد: المصدر السابق ،ج 01 ، ص 312 .

([13]) ـ زناتي أنور : المرجع السابق ، ص 70 .

([14]) ـ المرجع نفسه، ص 71 .

([15]) ـ أنظر: ابن حيان الأندلسي: المقتبس في أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973.

([16]) ـ زناتي أنور : المرجع السابق ، ص 78 .

([17]) ـ ابن بسام الشنتريني :الذخيرة ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب،ليبيا–تونس،1978م .

([18]) ـ زناتي أنور : المرجع السابق ، ص 80 .

([19]) ـ ابن الأبار : الحُلة السيراء ، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة، مصر ، 1985 م ،ج01 ، 269 .

([20]) ـ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، تحقيق ليفي بروفنسال، ج 02 ، ص 98 .

([21]) ـابن بسام الشنتريني : المصدر السابق ،ج01 ، ص 381 .

([22]) ـ ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج 02 ، ص 98 .

([23]) ـ شعيب عبد الواحد :المرجع السابق،ص344 .

([24]) ـ مهر ابن حزم في علوم شتى أهمها: الأدب، الفقه ، الأصول ، التاريخ ، حتى أضحى إماما مبرّزا في الفقه الظاهري من أهم مؤلفات ابن حزم :الفِصل في الملل و الأهواء و النحل، طوق الحمامة ،جوامع السيرة النبوية ، رسالة في فضل الأندلس و ذكر رجالها .أنظر :الحميدي: المصدر السابق ،ج02 ، ص 489-493 .

([25]) ـ هو الحافظ شيخ علماء الأندلس ، ألف مصنفات علمية كثيرة منها: "التمهيد" ،"الاستذكار"، "الاستيعاب"، الدرر في اختصار المغازي والسير"،"الانباه على قبائل الرواة"،فضائل الإمام مالك ومناقبه وأخباره. أنظر: القاضي عياض: المصدر السابق ،ج08،ص130 .

([26]) ـ كانت له اهتمامات علمية متنوعة، كان فقيها و مؤرخا ،و ذا دراية بعلم الجغرافية والفلك ،و من مؤلفاته طبقات الأمم ،جوامع أخبار الأمم، مقالات أهل الملل و النحل؛ ابن بشكوال: المصدر السابق ،ج 01،ص370؛حاجي خليفة: كشف الظنون ، ج 01 ، ص 420 .

([27]) ـ عبد الواحد عبد السلام شعيب : المرجع السابق ، ص 344 .

([28]) ـ المقري : نفح الطيب ،: نفح الطيب ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ،بيروت ، لبنان ، 1968 م . ج 03 ، ص 193 .

([29]) ـ للمزيد حول التدوين التاريخي في الأندلس أنظر عبد الواحد ذي نون طه : نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، العراق ، الطبعة الأولى ، 1988 م ، ص 19-54

([30]) ـ مصطفى الشكعة :" أبو مروان بن حيان بين الأدب الإبداعي و أدب كتابة التاريخ " ، مجلة المناهل ، وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط، المغرب ، العدد 29 ، نوفمبر 1981 م، ص 181 ؛ عبد الواحد عبد السلام شعيب : المرجع السابق ، ص 374 .

([31]) ـ أنور محمود زناتي : ابن حيان القرطبي مؤرخا، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية،القاهرة،مصر،2011،ص 184 .

([32]) ـ المرجع نفسه ، ص 184 .

([33]) ـ شعيب عبد السلام عبد الواحد : المرجع السابق ،ص 390 .

([34]) ـ ابن الأبار : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 53 .

([35]) ـ شعيب عبد الواحد : المرجع السابق ،ص392 .

([36]) ـ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 02،ص ص486،485 .

([37]) ـ شعيب عبد الواحد عبد السلام : المرجع السابق ، ص 393 .

([38])ـ ابن بسام : المصدر السابق ، ج 01 ، ص 433؛ عبد الواحد عبد السلام شعيب : المرجع السابق ، ص 394 .

([39]) ـ ابن حيَّان برواية ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ،ج03،ص205،204.

([40]) ـ شعيب عبد الواحد عبد السلام : المرجع السابق ، ص 397 .

([41]) _عبد الرحمان علي حجي: أندلسيات، المجموعة الأولى،بيروت،لبنان،1969 م ، ص 36 .

([42]) _ابن حيان برواية ابن بشكوال : المصدر السابق ،ج03 ، ص 785،786؛ عبد الواحد عبد السلام شعيب : المرجع السابق ، ص 403 .

([43]) _ شعيب عبد الواحد عبد السلام : المرجع السابق ، ص 443 .

([44]) _ المرجع نفسه ، ص 473 .

([45]) _ ابن حيان برواية ابن بشكوال ، ج 03 ، ص 992 ، 993 .

([46]) _ هو أحمد بن يحي بن عميرة الضبي ،كان حسن الخط ، صحيح النقل و الضبط، ابن الأبار: المصدر السابق ، ج01،ص83،84.

([47]) _ الضبي أحمد بن عميرة : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر/ دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، لبنان ،الطبعة الثانية ، 1989 م ،ج01،ص22.

([48]) _ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ج 01،تراجم 14.

([49]) –ابن بسام الشنتريني : المصدر السابق ، م01 ، ص 34،35.

([50]) – أبو القاسم بن بشكوال :المصدر السابق ، ج 01، ص24.

([51]) _ ابن الأبّار البلنسي : المصدر السابق ، ج 01،ص290 ؛ج 01، ص227،269 .

([52]) _ شعيب عبد الواحد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 523 ، 524 ؛ امحمد بن عبود : مباحث في التاريخ الأندلسي و مصادره ، ص 121

([53]) _ عياض القاضي : المصدر السابق ، ج 01، ص29،30 .

([54]) _ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 14.

([55]) _ المقري : المصدر السابق ، ج01، ص 137 ،138 .

([56]) _ عبد الواحد عبد السلام شعيب : المرجع السابق ، ص 529، 530 .

([57]) الحموي ياقوت : معجم الأدباء ، معجم الأدباء" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق إحسان عباس، بيروت، لبنان،1993 م،ج 01،ص34 .

([58]) _ الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء ،تحقيق و تعليق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، 1996 م ، ج18 ، ص306 .